

الهمداني لسان اليمن

دراسات في ذكرى الألفية^(*)

تأليف: جماعي

تحرير: د. يوسف محمد عبدالله

عرض: أ.د. حسين عبدالله العمري

قسم التاريخ، كلية الآداب

والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

في عام 1981م، أشرفت لجنة الهمداني على انعقاد اللجنة العلمية العالمية، بمناسبة الذكرى الألفية لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، شارك فيها كثيرون من المهتمين والمتخصصين والمتشرقين المرموقين، وفي عام 1986م صدرت الأبحاث التي أقيمت في تلك الندوة في كتاب بالعنوان المذكور، وفيما يلي عرض لهذا الكتاب.

أخيراً أصدرت "جامعة صنعاء" للعلماء والباحثين والمهتمين بفكر علامة العرب الكبير وتراثه في القرن الرابع للهجرة/العاشر للميلاد الحسن بن أحمد الهمداني، كتاباً مهماً عكف على تحريره ومراجعته طباعة فصوله المختلفة باللغتين العربية والانجليزية الأستاذ الدكتور/يوسف محمد عبد الله أمين عام (لجنة الهمداني) التي أعدت للندوة العلمية العالمية بمناسبة الذكرى الألفية (لسان اليمن) التي عقدت في جامعة صنعاء في 21- 27 ذي الحجة عام 1401هـ/19- 25 أكتوبر 1981م) وحضرها وشارك في محاوراتها عدد كبير من العلماء والمتخصصين العرب والمستشرقين المرموقين، ولاقت نجاحاً كبيراً

(*) الهمداني: لسان اليمن دراسات في ذكرى الألفية، تحرير د. يوسف محمد عبدالله، منشورات جامعة صنعاء، 1986،

206ص للقسم العربي. 89ص للقسم الإنجليزي.

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

434

لقد رجحت كفه فصول القسم الثاني على القسم الأول، وربما لو تمكن علامة الجزيرة الكبير الشيخ حمد الجاسر المختص بالهمداني وشيخ المؤرخين الدكتور/جواد علي من الحضور والمساهمة، وكذلك لو كتب بالعربية البروفسور/عباس الهمداني نجل المرحوم المؤرخ حسين فيض الله الهمداني إسهامه القيم "الهمداني في بداية سلطة همدان على اليمن"، لكان القسمان مناصفة، بيد أن هذا الاستطراد لا علاقة له بفحوى تلك الدراسات وأهميتها، فالقسم الثاني مكمل لدراسات القسم الأول، والعكس صحيح، ومن ذلك مثلاً ذلك المبحث الذي عقده الباحث العام الدكتور محمد عبد القادر بافقيه عن (الهمداني والثامنة) الذين "لا يصلح الملك لمن ملك حمير إلا بهم...." يكمله من جانب آخر أول دراسة القسم الثاني للبروفسور/بيستن عن (الهمداني والتبابعة)، والأمر نفسه مع فارق في التحليل والتوسع المرجعي في تناول الدكتور/رضوان السيد لموضوع مهم شائك طالما جر على صاحبه المحن والخطوب ذلك هو (القحطانية واليمانية عند الهمداني)، ففي القسم الثاني مبحث للمستشرق بيتر وفسكي بعنوان (الهمداني والأخبار القحطانية) وتضي دراسة الدكتور/يوسف فان اس (أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توينجن الألمانية) المعنونة (الأمر بالعرف والنهي عن المنكر في الفكر السياسي للهادي) أهمية خاصة في هذا القسم لكونها دراسة في الفكر السياسي في العصر الذي نشأ فيه الهمداني وعاصر - صغيراً - تأسيس الهادي يحيى بن الحسن (ت 298 هـ - 910 م) للمذهب الزيدي في اليمن، ثم محنته بالسجن أيام الناصر أحمد بن الهادي (ت 325 هـ - 937 م) لوضعه كتابه المشهور (القصيدة الدامغة) التي عارض بها قصيدة الكميت بن زيد الاسدي (ت 126 هـ - 743 م) ورد فيها على من كانوا يتعصبون على قبائل اليمن.

ومثال أخير للتشابه والتكامل بين دراسات القسمين تلك الدراسات المتعلقة بأحد حقول الهمداني التي أبدع فيها - أعني (الجغرافيا) - ومن أحسنها بحث الدكتور/عبد الله الشيبة عن (أهمية الهمداني للجغرافية التاريخية لليمن القديم) الذي استلهه بقول المستشرق النمساوي شبرنجر (ت 1893 م) قبل أكثر من قرن وربع قرن من أن "صفة الجزيرة إلى جانب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي يعدان أهم عملين جغرافيين قدمهما العرب".

وقد عنى بحث البروفسور فرنر مادلنج أستاذ الدراسات العربية بجامعة أكسفورد- في القسم الثاني- بما يمكن أن يكون توضيحاً لتلك العبارة التقريرية لشبرنجر في دراسته عن (معارف الهمداني الجغرافية في ضوء معارف القرنين الرابع والخامس الهجريين/ الحادي عشر للميلاد)، فكتابه (صفة جزيرة العرب) الذي نشره المستشرق الألماني مولر قبل قرن (ليدن 1884- 1891م) أهم مصدر تاريخي جغرافي عن اليمن والجزيرة في القرون الإسلامية الأولى، كتب في ذروة ازدهار الأعمال الجغرافية العربية قبل (مسالك ابن حوقل) (ت366هـ/977م)، وأحسن التقاسيم (للمقدسي الذي توفي عام380هـ/990م).

وهكذا نجد أن مختلف فصول القسمين يكمل بعضها بعضاً، غير أن قيام جامعة صنعاء بنشر بحوث القسم الثاني باللغة الانجليزية "دون ترجمة أو تلخيص نابع من الحرص على التوثيق، ونقل الصورة كما كانت. والجامعة تنوي في الوقت القريب ترجمة هذه الأبحاث إلى اللغة العربية، ونشرها في كتاب مستقل "كما ذكر الدكتور المقالح في تقديمه، فلعلها تفعل ذلك قريباً وفي طبعة قادمة تحوي القسمين معاً، فتيسر بذلك للباحثين والقراء العرب الاطلاع على أول دراسة شبه متكاملة عن لسان اليمن وأحد عباقرة العروبة والإسلام.



التعريف بالهداني:

الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، أبو محمد، لسان اليمـن، عالم، مؤرخ، جغرافي، فيلسوف، شاعر، سياسي، ولد بصنعاء في (19 صفر 280هـ/ 893م) وبها نشأ، طاف البلاد والجزيرة العربية، واستقر بمكة أكثر من ست سنوات حين كان في الخامسة والعشرين من عمره بغرض العلم والتحصيل، ورغم تعرضه "لأذى حرمكة وهجيرها إلا أنها - فترة مكة - كانت من أخصب سني التحصيل لديه، حيث تفتحت له آفاق المعرفة، وانفتح له فيها باب نفيس من المنطق فازداد منه" ثم عاد إلى اليمن وبقي بصعدة، قاعدة أئمة الزيدية والمحطة الهامة على طريق التجارة الممتد من أقصى جنوب اليمن عبر مكة إلى بلاد الشام، وكان لاستقرار أوضاع صعدته السياسي والاقتصادي - بعكس صنعاء التي كانت نهياً لأكثر من قوة سياسية آنذاك - أهمية خاصة جعلتها "تستقطب كثيراً من العلماء والأدباء والشعراء وطلاب العلم، وكذلك التجار من داخل

اليمن وخارجه، فقامت فيها حركة أدبية وفكرية، وانتعشت فيها التجارة، فكان أن أفاد الهمداني من فنون العلم التي كانت تزخر بها، كما أسهم فيها بنصيب وافر، لاسيما في علوم الأخبار والأنساب والشعر.... وهكذا مال الهمداني إلى الاستقرار بصعدة "وعمر فيها داراً وامتلك عقاراً واستطاب المقام بها" كما ينقل لنا المحرر عن الهمداني.

بيد أن شخصية كالهمداني ما كان يمكنه أن يعيش خاملاً أو في دعه وسكينه، فقد قضى شبابه منذ استقر في صعدة ثم كهولته، ليس في محراب الفكر والتأليف فحسب، بل كان له مع رجال عصره من حكام وأمراء وعلماء وشعراء شأن وأخبار وصراع كثير، بلغ ذروته بمحنه الكبرى بقيده وسجنه في قصر صنعاء على يد أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي بأمر إمام صعدة الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسن، واستمر سجنه ومعاناته واحداً وعشرين شهراً و19 يوماً، بين 24 شوال سنة 319 و27 شعبان سنة 321 هـ، لكنه "لم يبلغ مأمنه بعد إفلاته من حفظته في الطريق، ثم اختبأه إلا في حوالي 17 ذي القعدة من عام 321 هـ"، ويرجح بحق الدكتور/يوسف محمد عبد الله أن مأمنه كان مدينة ريده من بلاد قاع البون على بعد 100 كم شمال صنعاء، وفيها قضى الهمداني شيخوخته وبقية عمره (ص196) عاكفاً على مؤلفاته وكتبه التي لم يصل إلينا إلا بعضها، ومن الغريب أن يكون تاريخ وفاته غير معلوم على وجه اليقين، بيد أن التاريخ الشائع الذي ذكره صاعد الأندلسي (ت462 هـ/1070 م) في كتابه (طبقات الأئمة) وهو عام 334 هـ لم يعد صحيحاً، وقد سبق للمؤرخ المحقق القاضي محمد الأكوع أن نبه على ذلك. وهو ما ناقشه العلامة حمد الجاسر في مقدمته النفيسة لطبعة الأكوع (صفة جزيرة العرب) عام 1974 م، وعاد إلى بحثه الدكتور/يوسف محمد عبد الله في آخر ترجمته للهمداني حيث رأى بعد عرضه لكل ما سبق من افتراضات وتخمينات "أنه عاش إلى ما بعد 334 وربما بعد 336 هـ بسنوات أيضاً، لكن ليس هناك دليل قاطع بذلك (الكتاب ص:198). ولقد أفاد الدكتور/يوسف محمد عبد الله كثيراً بترجمته الجديدة التي أعاد فيها صياغة المعلومات المبتورة عن حياة العلامة الكبير مستفيداً بشكل خاص من المقالة العاشرة من كتاب (سرائر الحكمة) للهمداني المفقود التي نشرها العلامة الأكوع قبل نحو عشر سنوات، والتي أماطت اللثام عن معلومات وأخبار ذكرها الهمداني عن نفسه، بعضها في معرض وضعه تطبيقات لعلاقات البروج والقرانات

◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆ ◆

438

لقد كان الهمداني أبرز رجال عصره في اليمن، وأحد عظماء العرب في ذروة الحضارة العربية الإسلامية، وقد نقل لنا المحقق القاضي/ محمد الأكوع في موضوعه عن (أوليات الهمداني التي انفرد بها) ما ترجمة المؤرخ اليمني الكبير/ محمد بن الحسن الكلاعي الحميري (ت 404هـ/ 1013م) الذي كان من الجيل التالي بعد الهمداني، وله كتب لا يعلم بعد وجودها، مانصه:

"كان الحسن بن أحمد الهمداني الأوحـد في عصره، الفاضل على من سبقه، المتبرز على من لحقه، الذي لم يولد باليمن مثله علماً وفهماً ولساناً، ورواية وإحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة، والغريب والشعر، والأيام والأنساب، والسير والأخبار، والمناقب والمثالب، مع علوم العجم، والهندسة، والاستنباطات الفلسفية، والحكام الفلكية" (ص111).

وحتى تكتمل صورة الهمداني في هذه العجالة نختمها بشهادة مستشرق عظيم عميق المعرفة، متعدد المواهب، هو العلامة الروسي كراتشكوفسكي (1883- 1951م) الذي رسم لنا شخصية الهمداني "من وجهة نظر استشرافية محايدة" كما وصفها الدكتور/المفـالـح في مقدمته المركزة، فقد جاء في كتاب (تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب) لكراتشكوفسكي عن الهمداني:

"وفي مصنفاته ترسم أمام ناظرينا فذة لوطني متحمس، بل خبير كبير بأنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية نفسها، وبخاصة آثارها القديمة، وهو أمر نادر بين العرب، ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أنه استطاع فك رموز الكتابة العرب (الحميرية) القديمة في جنوب الجزيرة، ويقف مصنف الإكليل الذي يقع في عشرة أجزاء دليلاً ساطعاً على سعة معارفه. فقد أفرغ فيه جماع معرفته بالأنساب والتاريخ والآثار، بل حتى لأدب الحميريين سكان الجزيرة في القدم. ولم يكتف في كتابه بعرض المادة الأسطورية التي تجمعت في الأدب العربي بعد الإسلام، بل بذل قصارى جهده ليوقف منها موقف الناقد، وذلك على ضوء دراسته للنقوش التاريخية".

ذلك هو لسان اليمن، في ذكره الألفية التي يكون صحيحاً بعد مرور 1125 عاماً من مولده أو 1071 عاماً - تقريباً - من تاريخ وفاته غير المؤكد، نُضيف إليها ثلاثين عاماً هي الفارق بين ذلك المؤتمر في ذكره الألفية وهذا المؤتمر الثاني بمناسبة الذكرى الأربعين لتأسيس جامعة صنعاء الحفيلة اليوم بذكره العظيمة عازمة على إعادة نشر ما سبق وما سيُقدم في هذا المؤتمر في أقرب فرصة بإذن الله.